DERASAT29-9-2012 9/29/12 11:20 PM Page 1

الصعود التركي في سياسات الشرق الأوسط

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

بعد غياب دام أكثر من ثمانية عقود منذ أن خرجت الدولة العثمانية منهزمة في الحرب العالمية الأولى، وأخذت تركيا الجديدة في التوجه غربا وفق إدراك يقيني أن الشرق هو سبب تخلفها، وسيطرة هذا التوجه على السياسة الخارجية التركية، بل الداخل التركي بمحاولة فرض التغريب على الحياة اليومية للمواطن التركي، عادت تركيا بقوة منذ تولي حزب العدالة والتنمية السلطة إلى قلب الشرق الأوسط، وغدت تبدو وكأنها القوة الإقليمية الأكثر نشاطا في وقت يكاد يتعطل فيه نشاط القوى الإقليمية الأخرى أو على الأقل يبدو في قوة تفاعلاته دون الدور التركي.

هذا الانقلاب في السياسة الخارجية التركية جاء بعد إدراك أن تباطؤ الاتحاد الأوروبي في ضم تركيا إليه يرتكن إلى أسانيد ثقافية تجعل من المحال أن تصبح تركيا عضوا في هذا الاتحاد، وبعد رحلة طويلة مضنية للالتحاق بأوروبا وجدت تركيا أن مجالها الحيوي الطبيعي هو الشرق، ففي هذا الشرق يوجد العالم التركي وتوجد المصالح الاقتصادية التركية: أسواق ضخمة شرهة للاستهلاك، موارد طبيعية تغذي نمو الصناعات التركية، موارد طاقة تشبع نهم النمو الاقتصادي التركي، كما توجد الأرضية الثقافية الممهدة لسرعة العودة، ويوجد فراغ الدور الذي يجعل الشرق يتقبل أن تملأه تركيا بينما لا يقبل أن يملأه غيرها، وفي هذه العودة تبدو استعارة تركيا لمشروع الشرق الأوسط الجديد، وفيه تتكامل الأموال الخليجية مع العمالة العربية والخبرة التركية، والنجاح الاقتصادي الذي حققته تركيا وجعلها في مصاف القوى الاقتصادية الناشئة أغراها بمنافسة الصين في الشرق الأوسط مستخدمة سلاح الجودة مع السعر المعتدل في مواجهة سلع صينية رخيصة ولكنها رديئة.

وقد غدا النشاط التركي في الشرق الأوسط أكثر من ضرورة لتركيا بعد الركود الذي أصاب الأسواق الأوروبية منذ الأزمة الاقتصادية ٢٠٠٨، بينما كانت معدلات النمو خاصة في منطقة الخليج تحقق ارتفاعا كبيرا، فنشطت مشروعات إحياء سكة حديد الحجاز، وغدت سوريا أهم ممرات عبور السلع التركية لأسواق الخليج، وفي هذا الجو النشط ألغت تركيا تأشيرات الدخول للعديد من الدول العربية.

غير أن الصعود التركي في سياسات الشرق الأوسط والاهتمام فوق العادي بشؤون هذا الإقليم ما كان له أن يسير بسلاسة في منطقة اعتادت التوتر والصراعات، فتحول العراق إلى دولة فاشلة، وتأجج الصراعات الطائفية فيه، واستمرار الخلل الأمني على نطاق واسع بعد حوالي عشر سنوات على سقوط صدام حسين، مع وجود حدود عراقية تركية يصعب السيطرة عليها، قد جعل من العراق بدلا من أن يكون سوقا للمنتجات التركية مصدرا لتهديد الأمن التركي؛ حيث وجد حزب العمال الكردستاني في الأراضي العراقية ملاذا امنا يعسكر فيه ويقوم بالتدريب وتنطلق منه الهجمات ضد القوات التركية، ما دفع الأخيرة إلى السعي لتدابير من بينها إنشاء قاعدتين بالقرب من جبال قنديل العراقية؛ حيث إن وجودا عسكريًا تركيًا محدودا ومراكز مراقبة في تلك المنطقة يمكن الجيش التركي من إحكام الخناق على معسكرات حزب العمال الكردستاني ومراقبة تحركاته واتصالاته، وتأتي هذه الخطوات على خلفية اتهام السلطات العراقية بعدم القدرة على ضبط الأمن بما يجعل تركيا تتصرف منفردة للحفاظ على أمنها، وإزاء تزايد عمليات الملاحقة والتغلغل التي تقوم بها القوات التركية في شمال العراق أخذت المدن التركية ليست فقط الواقعة في جنوب شرقي تركيا ولكن اسطنبول نفسها تشهد مظاهرات صاخبة من الأكراد واصطداما بينها وبين قوات الأمن التركية كتلك التي شهدتها اسطنبول في مايو ٢٠١١، وبينما ينكر «أردوغان» وجود قضية كردية في تركيا، فقد أخذ أكراد سوريا والعراق وإيران في تعزيز التعاون بينهم وخوض ما يعتبرونه نضالا سلميًا وعسكريًا لتحقيق مشروعهم القومي الذي يطول جنوب شرقي تركيا، وتدخل إسرائيل كعادتها للصيد في الماء العكر فتلوح بمد يد المساعدة لحزب العمال الكردستاني في التدريب والسلاح عقابا لتركيا التي جرؤت على انتقاد السياسات الإسرائيلية.

وبينما كانت تركيا في مستهل عام ٢٠١٢ تسعى لتعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بينها وبين إقليم كردستان العراق بفتح معبرين جديدين يربطان بين محافظتي أربيل ودهوك بالمحافظة التركية المجاورة، قامت الخارجية العراقية باستدعاء السفير التركي في بغداد احتجاجا على تصريحات لمسؤولين أتراك اعتبرتها بغداد تدخلا في الشأن الداخلي، وكان رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان قد دعا زعماء مختلف الكتل السياسية والدينية العراقية إلى الإصغاء لضمائرهم للحيلولة دون تحول التوتر الطائفي في بلادهم إلى نزاع أخوي، وفي مقابل هذا التصرف العراقي استدعت الخارجية التركية السفير العراقي في أنقرة للاحتجاج على اتهامها بالتدخل في شؤون العراق الداخلية، وردًا على ما قاله أردوغان انتقد رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي هذا القول محذرا من خطورة نشوب صراع طائفي قد يؤدي إلى كارثة لا تسلم منها تركيا نفسها.

وهذه التصرفات المتقابلة التي استبعدت عنصر النية الحسنة تعني أن كلا الطرفين غير راض عن سياسة الآخر تجاهه: تركيا فيما تعتبره غض الطرف من قبل السلطات العراقية عن نشاط معاد لها ينطلق من الأراضي العراقية، والعراق ما يعتبره انتهاكا لحقوقه السياديّة من أعمال المطاردة التي تقوم بها القوات التركية ضد عناصر حزب العمال الكردستاني داخل أراضيها، وقد تصاعدت حدة التلاسن بين قمتي النظام السياسي في البلدين حتى اتهم أردوغان المالكي بإذكاء الصراع بين السنة والشيعة والأكراد ورد المالكي بأن تركيا أصبحت دولة معادية ولديها أجندة طائفية وأنها تتدخل في الشؤون العراقية وتحاول الهيمنة.

○ مباحثات سعودية . تركية بين خادم الحرمين الشريفين ورجب اردو

وفيما يمثل النشاط الكردي خطرا قوميًا تسعى تركيا بشتى الوسائل بما فيها القوة العسكرية لاحتوائه، فإن توطن النزاعات الطائفية في العراق يمثل لتركيا مصدرا آخر للتهديد، وهو التهديد الذي تعزز باندلاع الأزمة السورية ووقوف طهران إلى جانب نظام الأسد، بينما وقفت تركيا إلى جانب المعارضة، وهو موقف دول مجلس التعاون الخليجي ومصر ذاته، ولهذا ردًا على طلب بغداد في مايو الماضي تسليم نائب الرئيس العراقي «طارق الهاشمي» الذي حكمت عليه غيابيًا بتهمتي دعم الإرهاب ومحاولة إسقاط حكومة المالكي رفضت أنقرة هذا الطلب، وذكرت في معرض رفضها أن على بغداد أولا أن تسلمها من ينتمي لحزب العمال الكردستاني ويمارس نشاطه المعادي ضد تركيا من أراضيها، وزادت أنقرة من تصعيد حالة العداء مع بغداد بقيام وزير خارجيتها «أحمد داود أوغلو» بزيارة محافظة كركوك في أغسطس الماضي ومقر الحركة التركمانية فيها.. وتعد كركوك من أهم المناطق المتنازع عليها في العراق في إطار الدولة الفيدرالية، وهذه الزيارة تمت من دون تنسيق مع الحكومة المركزية بينما أكدت حكومة إقليم كردستان أن هذه الزيارة تمت بشكل رسمي، وقد سعت تركيا أيضا إلى تعزيز علاقتها مع هذا الإقليم ليس فقط من الناحية الاقتصادية ولكن السياسية أيضا، وهو ما قابله نوري المالكي ليس فقط بإدانة هذه الزيارة ولكن بسحب السفير العراقي من أنقرة ومطالبة جامعة الدول العربية بإدانة هذا التصرف.

وفي الوقت الذي تحول فيه العراق إلى ساحة نفوذ إيرانية فإن تصاعد الخصومة مع العراق من ناحية وتباعد الموقف التركي في الأزمة السورية عن الموقف الإيراني يعكسان حقيقة تنافس بين هاتين القوتين الإقليميتين على النفوذ في الشرق الأوسط؛ حيث تجد إيران امتدادات نفوذها عبر العراق إلى سوريا ولبنان، في مقابل تعزيز تركيا لعلاقاتها الخليجية ومع مصر والأردن والشمال الإفريقي والسودان، حتى إنه يمكن القول إن الأزمة السورية في أحد جوانبها هي أحد أهم ميادين المنافسة الإيرانية التركية، ولهذا حينما دعا كوفي عنان الموفد الأممي السابق للأزمة السورية إلى إشراك إيران في مساعي حل الأزمة السورية وأعقبه في ذلك الرئيس المصري كان على خلفية إدراك أن في هذه المنافسة لا يقبل أي من الطرفين أن يخرج خاسرا؛ لأن الخسارة هنا ستكون خسارة استراتيجية، ولا يقف دون هذه المنافسة التعاون الاقتصادي القائم بين تركيا وإيران، وما بينهما من اتفاقات اقتصادية وصفقات تجارية ضخمة وتبادل تجاري بحجم ١٠ مليارات دولار سنويًا، وقد ظهر أثر هذه المنافسة في استبعاد طهران استضافة اسطنبول مفاوضات ٥+١ بشأن الملف النووي الإيراني، وعدم استقبال نجاد لأردوغان حين زار الأخير طهران في ابريل الماضي.. ألم يكن الصراع قديما في الشرق الأوسط بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية؟ ألم تكن هذه هي لعبة السلطة الأقدم في هذا الإقليم؟ وبينما يخدم أنقرة الصعود الاقتصادي التركي والعضوية في حلف الأطلنطي والاعتدال الديني والتوحد المذهبي مع الذين يشكلون غالبية العالم العربي، لا يخدم طهران برنامجها النووي المثير للجدل وتعاظم العقوبات الدولية المفروضة عليها وتخوف العالم العربي من مساعي الهيمنة لديها حتى إنها باتت أقرب إلى العزلة فوجدت في الأزمة السورية مخرجا يتيح لها دورا لابد من الاعتراف به إذا أريد لهذه الأزمة تسوية، وقد كشفت الأزمة السورية أن أنقرة تغير موقفها طبقا لمصالحها، فقد كانت حليفة لـ«بشار» قبل الثورة ناصحة له بعدها في محاولة لإبعاده عن طهران، ثم ابتعدت عنه حين أيقنت عبث هذه المحاولة، وساندت المعارضة في توافق مع الموقف العربي، بينما ظلت طهران المساعد الرئيسي لبشار، لنجد أمامنا قيد التشكيل محور أنقرة الخليج القاهرة في مواجهة محور طهران دمشق، وفي هذا المحور تبدو أنقرة المتصلة أرضيًا بسوريا هي الأكثر استضافة للاجئين السوريين والأكثر نشاطا في طرح مبادرات حل هذه الأزمة.

وإذا كانت الأزمة السورية قد ضربت طريق مرور البضائع التركية للخليج مع تنامي الصادرات التركية لهذه المنطقة، فقد وجدت أنقرة في القاهرة بديلا يعوضها عن هذا الممر والتقت حاجة الاقتصاد المصري للمساندة بتنشيط هذا الممر الجديد والوعد بدعم هذا الاقتصاد بمليارى دولار.

إن تركيا بهذا القرار عززت مساعيها المبكرة لتقوية التعاون مع دول الربيع العربي بعد تغيير مواقفها من أحداث هذا الربيع انسجاما مع الموقف الغربي، وبما يخدم استمرارية المصالح التركية، ولا ننسى زيارة أردوغان المبكرة للقاهرة بعد فترة وجيزة من تنحي مبارك وعروضه التي قدمها لتعزيز التعاون الاقتصادي في وقت تشتد فيه حاجة مصر إلى هذا التعاون بعد أن ساءت أحوالها الاقتصادية، بل إن الحزب الذي أنشأته جماعة الإخوان المسلمين في مصر وخاضت به الانتخابات التشريعية والرئاسية قد اشتق اسمه من حزب أردوغان، وبينما تقف دول الربيع العربي حذرة من التقارب مع إيران بسبب استمرار احتلالها للجزر الإماراتية وبرنامجها النووي وما يحمله من مخاطر على دول مجلس التعاون الخليجي، فإن الطريق بات أكثر من ممهد لعلاقات قوية بين تركيا ودول الربيع العربي، وقد خدم تمهيد هذا الطريق مواقف أنقرة المشرفة بمناسبات مختلفة الداعمة للفلسطينيين وحقهم في دولتهم والرافضة لسلوك إسرائيل وجرائمها في الأراضي المحتلة ومطالبتها بتطبيق الاتفاقات والقرارات الدولية لإنهاء الاحتلال، كما خدمه أيضا تعزيز علاقات تركيا الأمنية والعسكرية مع الغرب بقبولها تركيب محطات رادار على أرضيها كجزء من مشروع الدفاع الصاروخي لحلف شمال الأطلنطي، فالتقارب التركي العربي يصب جزء منه في المصلحة الغربية ولا ينال منها، كما أن تأكيد تركيا علمانيتها وديمقراطيتها يجعلها تنأى بنفسها أن تكون طرفا في صراع طائفي.

وهكذا يمكن القول: إن تركيا من خلال دورها الشرق أوسطي الجديد تتكامل بهذا الدور مع دورها في البلقان وآسيا الوسطى فيما يسمى العثمانية الجديدة، ومن ثم فإن العالم الغربي الذي يتلكأ في قبولها في الاتحاد الأوروبي يدفع ثمنا غاليا جراء هذا التلكؤ يتمثل في فرصه الضائعة في هذه المناطق العديدة التي تعزز أنقرة وضعها فيها باعتبارها بوابتها الاستراتيجية.

STAR REAL ESTATE

Luxury Properties
Available All Over Bahrain
Tel: +973 1729 9188 - Email: admin@starrealestate.bh

Rentals

Riffa Views – Lagoon BD575/- inclusive

Semi-furnished 2 BR townhouse in the most sought after area Riffa Views, the Lagoon.
Ref no. 003/Anselm

Amwaj Island BD1,000/-inclusive

Beautifully decorated and furnished, open kitchen, 3BR, 3 bathrooms, with with balcony overlooking the lagoons
Ref no. 001/Kathryn

Hamala BD1,350/- incl

Excellent offer: brand new 4 BR villa with private pool, appliances, garden, and security. Close to Saudi Causeway, schools and shopping.
Ref no. 001/Anselm

Hamala BD1,900/- exclusive

HURRY! Luxury 4 bedroom spacious villa on much sought after compound in Hamala, gorgeous kitchen and mezzanine area. Excellent communal facilities.
Ref:001/Joanne

Sales

Juffair BD110,000/-neg

2 BR fully furnished apartment plus maid's room, 171 sqm, presently rented out.
Ref no. 002/Anselm

Amwaj Island – Tala BD 70,000/-

2BR luxury apartment, 114 sqm, sea view, 1st floor, balcony, title deed ready, play area, and security.
Ref no. 001/ Anselm

Riffa Views – Lagoon BD 320,000/-

Semi-furnished 5 BR villa, overlooking the 8th hole, with private swimming pool. Owner currently staying in the villa.
Ref: 1108/Anselm

Riffa Views – Park BD899,000

6 BR signature villa located in Park Estate, 790sqm built up area, 3,045sqm land area, outside swimming pool dining area, large garden, double garage, outside kitchen, maid and laundry rooms.
Ref no. 001/Kathryn

Star International Real Estate: 3rd Floor CTS Building Exhibition Road P. O. Box 2591 Manama Kingdom of Bahrain - T: +973 1729 9188 / F: +973 1729 3400 / E: admin@starrealestate.bh / www.starrealestate.bh